﴿سلسلة خطب الجمعة﴾

لفضيلة الشيخ

مصطفى العدوي

-حفظه الله-

الخطبة بعنوان:

(الكلمة الطيبة صدقة -صنائع المعروف قولًا وعملًا)

بتاريخ [١٨-٣-٢٠٢٢]

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

الخطبة بعنوان: (الكلمة الطيبة صدقة -صنائع المعروف قولًا وعملًا).

الخطبة الأولى:

«اللهم لك الحمدُ حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه مِلْءَ السَّمواتِ ومِلْءَ الأرضِ ومِلْءَ ما شِئْتَ مِن شيءٍ بعدُ أهلَ الثَّناءِ والمجدِ أحقُّ ما قال العبدُ وكلُّنا لك عبدٌ». وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ﴿لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ﴾ [التغابن: ١]. ﴿يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢)﴾ [الحديد: ٢]. بيده الخلق والأمر، الخلق خلقه والأمر أمره، وهو ﴿فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ (١٦)﴾ [البروج: ١٦]. يُضحك ويُبكي، يغني ويقني، يبتلي ويعافي، يعز ويذل، ويكرم ويهين، فلا إله إلا الله، إليه المنتهى في الأمور كلها، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله -صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وعَلَى آلِهِ-، أرسله الله بين يدي الساعة بالحق بشيرًا ونذيرًا، فأدى الأمانة حق الأداء، وبلغ الرسالة حق البلاغ، فجزاه الله عنا خير ما جازى نبيًا عن أمته ورسولًا عن دعوته ورسالته.

وبعد...

أيُّها الإخوة، فكما أننا نعبد الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- ونثني عليه الخير كله، علينا أن نمتثل أمره أيضًا بالإحسان إلى عباده، نمتثل أمر الله بالإحسان إلى خلق الله -سُبْحَانه-، فقد أمرنا الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- بالإحسان إلى الخلق قولًا وعملًا، فقال -سُبْحَانه-: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣]. وقال: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا (٥٣)﴾ [الإسراء: ٥٣]. وقال تعالى: ﴿وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [فصلت: ٣٤]. يعني: إذا قال لك قائل كلمة سيئة قابله بكلمة طيبة ﴿وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ﴾. وإن كان من العلماء من قال: الحسنة لا إله إلا الله، والسيئة كلمة الشرك. ولكن الآية بعمومها تشمل كل قول حسن، وتشمل أعني في النهي الكلمة السيئة كل قول سيئ.

قال تعالى: ﴿وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾. أي: قابل الإساءة بإحسان ﴿فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٣٥)﴾ [فصلت: ٣٤-٣٥]. فأُمِرنا أن نقول للناس كلامًا طيبًا حسنًا، ولقد قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بعد بيان صنائع المعروف، قال: «فإنْ لم تَجدْ فبكلمةٍ طيبةٍ». «لا تَحقِرَنَّ مِنَ المَعْرُوف شَيْئًا، وَلَو أنْ تَلقَى أخَاكَ بوجهٍ طلقٍ». وقال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ اللهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٥) وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ (٢٦) يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُ (٢٧)﴾ [إبراهيم: ٢٤-٢٧]. فعلى المرء المسلم أن يختار الكلمات الطيبة التي يطيب الله -عَزَّ وَجَلَّ- بها الخواطر، والتي تُطيَب بها القلوب.

إن الله قال في كتابه الكريم قولًا علينا أن نعيه وأن ندركه، قال الله تعالى: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا (٢٦) إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا (٢٧) وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا (٢٨)﴾ [الإسراء: ٢٦-٢٨]. يعني: هب أنك أعطيت والدك شيئًا من المال، أو أمك، أو أختك، أو أقربائك شيئًا من المال، ولكنه شيء قليل لضيق ذات اليد عندك، أتبع هذا الشيء بكلام طيب، أو إذا أبيت أن تُعطي قراباتك شيئًا من المال لعلة ﴿فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا﴾. ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا﴾. قل لهم: إذا وسع الله علي -بِإِذْنِ اللهِ- ستجدون مني كل خير، اعذروني هذه الأيام. كلام طيب يطيب قلوبهم.

وكذلك قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُوْلُوا الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا (٨)﴾ [النساء: ٨]. يعني: وأنتم تقسمون التركة وفي أقرباء ليس لهم ميراث أو مساكين ليس لهم من الميراث شيء، قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُوْلُوا الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ﴾. أعطوهم شيئًا ﴿فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾. كلموهم بطيب الكلام، حتى وأنت تعتذر عن الإعطاء استعمل الكلام الطيب، تعتذر عن الشفاعة مثلًا، شخص قال لك: اشفع لي للزواج عند فلان. حتى وأنت تعتذر كلل الاعتذار بالكلمة الطيب، قال لك: زوجني ابنتك. تعتذر بكلام طيب أيضًا إذا لم تكن لك فيه رغبة، وانظر إلى هذا الاعتذار المكلل بالأدب من أسامة بن زيد -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، لما علي -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- كان في حرب مع معاوية والصحابة في ذلك انقسموا أقسامًا، لكن علي كان له دلال وعشم عند أسامة بن زيد؛ لأن أسامة بن زيد كان لصيقًا بآل بيت النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هو وأبوه، أبوه مولى رسول الله، زيد بن حارثة مولى رسول الله، وأسامة كان حِب النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، وأبوه حِب النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، فأرسل علي -رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ- إلى أسامة بن زيد، يقول له: «ما خلفَك عن قتالِ الفئةِ البَاغيةِ؟». لماذا تتخلف عن قتال الفئة الباغية، وأنت تعرف أننا يعني حاصل الكلام أننا مظلومين، لما تتخلف عن قتال الفئة الباغية؟ فماذا قال أسامة بن زيد -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- للرسول الذي أرسله علي؟ قال: «اقرأ أبا حسن مني السلامَ، وقلْ له: واللهِ، يا أبا حسن لو كنتَ بين فكي الأسدِ». يعني: أنت في فم الأسد «أحببتُ أن أكونَ معك في فمِ الأسدِ، ولكن هذا الأمر الذي تدعوني إليه لا أراه». ذلك لأن أسامة قتل من قال: لا إله إلا الله في الحرب في زمن الرسول، فما زال النبي يعاتبه: «أقتلته بعد أن قالَ: لا إله إلا الله؟ أسامةُ يقولُ: قالها متعوذًا يا رَسولَ اللهِ. والنبي يعيد عليه أقتلته بعد أن قالَ: لا إله إلا الله يا أسامةُ؟ أقتلته بعد أن قالَ: لا إله إلا الله؟ حتى قالَ أسامةُ: واللهِ تمنيتُ أنى لم أكنْ أسلمتُ إلَّا يومئذ». من شدة عتاب النبي. فقال: «هذا

أمرُ لم أره يا أبا حسن، فأبلغْه مني السلامَ، وقلْ له: لو كنتَ بين فكي الأسدِ لأحببتُ أن أكونَ معك». فالاعتذار المكلل بالأدب مطلوب، ولذلك كان بعض الناس أحيانًا يأتي يسأل النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ويلح في المسألة، فيقول له النبي: «إنْ شئتَ أعطيتك، ولكن لا حظَّ فيها لغنيٍّ ولا لذي مِرَّةٍ سَوِيٍّ». يعني: أنت تسألني الزكاة أو الصدقة، ممكن أعطيك أنت من ستتحمل بين يدي الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، ستتحمل إثم نفسك إذا كنت تأخذ ما ليس لك.

وأيضًا في هذا الصدد، أعني في صدد الكلمات الطيبة ليُعلَم أن الكلمة الطيبة شعار لأهلها، والكلمة الخبيثة شعار لأهلها أيضًا، قال تعالى: ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُوْلَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٢٦)﴾ [النور: ٢٦]. فالطيبون تصدر منهم كلمات طيبة، والأشرار تصدر منهم كلمات خبيثة، فكن طيبًا، وتكلم بالكلمات الطيبة، فضلًا عن أنها سبب من أسباب دخول الجنة، قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «أفشِ السَّلامَ، وأطبْ الكلامَ، وأطعِمْ الطَّعامَ تدخلْ الجنةَ بسلامٍ». كلام طيب، طعام طيب، كذلك إفشاء السلام، فالسلام اسم من أسماء الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-.

فعليك أن تتكلم بطيب الكلمات وأن تنتقي الأساليب والعبارات التي تكلم بها الناس، ولا تمزح أحيانًا مزاحًا يضر بالناس أو يروع الناس، فالرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- نهى عن ترويع المؤمنين، نهى الرسول عن ترويع المؤمنين، في الحديث نهى النبي أن يُروَع المؤمن، وفي الحديث: «لا يأْخذَنَّ أحدُكم متاعَ صاحبِه جادًا ولا لاعبًا». لا بجد تزعجه ولا مازحًا، لا تمزح وتزعج الناس، إنما كلل أعمالك بالكلام الطيب، ولذلك نحن نقرأ كلام الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، كله كلام طيب والحمد لله، نعم قد تستدعي المقامات شدة في بعض الأحيان للإصلاح، ليس للتشفي ولا للسخرية من الذي نخاطبه ولكن لإصلاحه، قال سليمان -عَلَيْهِ السَّلَامُ-: ﴿مَا لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ

(٢٠) لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٢١)﴾ [النمل: ٢٠-٢١]. قال يوسف الصديق -عَلَيْهِ السَّلَامُ- لإخوته: ﴿ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَلا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ (٥٩)﴾ [يوسف: ٥٩]. أنا أكرم الناس وأكرم الأضياف، لكن في المقابل أيضًا ﴿فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلا تَقْرَبُونِ (٦٠)﴾ [يوسف: ٦٠]. لا أرى وجوهكم عندي.

فقد تحتاج المقامات إلى أسلوب شديد أحيانًا حتى يُصلح من أمامك، لذلك كان النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقسم نفلًا بين أصحابه أو أتته الغنائم، وسعد بن أبي وقاص -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- جالس، فرأى سعد سيفًا في الغنيمة، عينه مركزة على السيف، قال: «نفِّلْنيه يا رسولَ اللهِ. قالَ: ضعْه. فسكتَ سعدٌ، وبعد مدة قال: نفِّلْنيه يا رسولَ اللهِ، أجاهدُ بِه في سبيلِ اللهِ. قالَ النبي: ضعْه». الثالثة أيضًا سعد يريد السيف سيف جيد يصلح للقتال مع أنه سيقاتل به في سبيل الله «قالَ: ضَعْه مِن حيثُ أخَذْتَ. قالَ سعدٌ: وحدَّ لي رسولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- صوتَه». فالكلمات الطيبة لا تتنافى أبدًا مع إحقاق الحق، قد يحزن من أمامك بسبب كلماتك الطيبة فيريد منك كلامًا معوجًا، لكن رب العزة يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠)﴾ [الأحزاب: ٧٠]. القول السديد ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [الأحزاب: ٧١].

فليكن أيُّها الأخ الكريم منهجك الكلم الطيب «الكلمةُ الطيبةُ صدقةٌ». كما قال الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وكما سمعتم ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾. ألا ولنصدر للناس مع الكلمات الطيبة وقد علمتم أيُّها الإخوة أن الله قال في شأن الكلمات الطيبة: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠]. قيل: العمل الصالح يرفع الكلم الطيب. لا تكون تتكلم كلامًا طيبًا وتخالفه بسيء عملك، فإن الله قال: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ (٤٤)﴾ [البقرة: ٤٤]. لكن إذا كان الكلام الطيب مشفوع بعملٍ صالحٍ فالقول الأول ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ

وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾. أي: العمل الصالح يرفع الكلم الطيب. ومن العلماء من قال قولًا آخر ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾. الكلم الطيب يصعد إلى الله، والعمل الصالح يرفعه الله، فيكون الكلم الطيب أيضًا يصعد تلقائيًا إلى الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، وأما العمل الصالح يرفعه الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، يحتاج إلى رفعه. هكذا قال بعض أهل العلم، القولان موجودان للعلماء.

فعليك بالكلم الطيب والعمل الصالح، أما ونحن مقبلون على شهر كريم شهر مبارك، بلغنا الله وإياكم إياه بأمن، وأمان، وسلامة، وإسلام، وتوفيق لما يحبه ويرضاه، نرجو أن يكون الخير منا -بِإِذْنِ اللهِ- واصلًا لخلق الله، ينبغي أن يصل خيرك يا عبد الله إلى خلق الله، الناس الآن في ضيق من المعيشة في بعض البلاد، في ضيق من العيش وغلاء من الأسعار، وابتداءً فليعلم الجميع أن غلاء الأسعار وانخفاضها مُقدَر، ونعم قد تكون له أسباب، لكن هو مُقدَر في الأول والآخر، فعلينا في أيام المجاعات وأيام غلاء الأسعار أن نلجأ إلى الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- مستغفرين، تائبين، أواهين، ثم لنتواصى فيما بيننا بالمعروف، ولنتعاون فيما بيننا على البر والتقوى.

قال تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللهُ لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا (٧)﴾ [الطلاق: ٧]. فالبذل والعطاء في أوقات الشدة والبلاء أعظم أجرًا من أوقات النعماء والرخاء، البذل والعطاء في أيام الشدة أثوب، قال تعالى: ﴿أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (١٤) يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ (١٥) أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ (١٦) ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ (١٧) أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (١٨) وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (١٩) عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ (٢٠)﴾ [البلد: ١٤-٢٠]. فيا عباد الله لنتواصى فيما بيننا بإيصال المعروف إلى الناس «وَلا تَحقِرَنَّ مِنَ المَعْرُوف شَيْئًا».

عائشة -رَضِيَ اللهُ عَنْها- كانت في بيتها فجاءتها سائلةٌ معها ابنتان لها، فدخلت عائشة تبحث عن شيء في البيت تعطيه السائلة، فتشت في البيت فلم تجد في البيت إلا تمرات ثلاث، ثلاث تمرات يا إخوة في بيت عائشة، فأخرجتها؛ لأنها تعلم قول الله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَه (٧)﴾ [الزلزلة: ٧]. فأخذت المرأة التمرات الثلاث، أعطت بنتًا تمرة والأخرى تمرة والثالثة أخذتها كي تأكلها هي، فلما رأت البنتين استطعمتا التمرتين حرمت نفسها من التمرة الثالثة، فقسمتها نصفين، أعطت نصفًا لهذه ونصفًا للأخرى، فأعجبت عائشة بصنيعها، فلما رجع النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أخبرته عائشة فقال: «مَنْ ابْتُلِيَ مِنْ هذه البنَاتِ بِشَيءٍ فأَحْسَن إِلَيهِنَّ، كُنَّ سِتْرًا لَهُ مِن النَّار». أو كما قال الرسول -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-.

فالإنفاق في أوقات الشدة مطلب، ويثني رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- على الأشعريين، ليس الأشاعرة الذين هم يؤولون صفات الله، الأشعريين هم قبيلة أبي موسى الأشعري، ويقول: «إنَّ الأشْعَرِيِّينَ مِني وأنا مِنهم، إنهم إذا أرْمَلُوا في الغَزْوِ، فقَلَّت أزوادهم». يعني: إذا خرجوا مسافرين وقلت معهم الأطعمة بسطوا النطع المفارش بسطوها، وأتى ذو القليل بقليله، وذو الكثير بكثيره، ذو التمر بتمره، ذو البر ببره، كل واحد عنده طعام يأتي به «يطرحونَه ويقتسمونَه فيما بينهم بالسَّوِيَّةِ، فَهُمْ مِنِّي وأنا منهمْ».

وقد قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ (٩٢)﴾ [آل عمران: ٩٢]. ويقول النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «يقولُ اللهُ تعالى: يا ابْنَ آدَمَ أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ». ويقول -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- لأسماء بنت أبي بكر: «يا أسماء». كانت أسماء تُنفق وتحصي ما أنفقته، أنا أنفقت كذا وكذا، قال النبي لها: «يا أسماء، أَنْفِقِي، ولا تُحْصِي، فيُحْصَى عَلَيْكِ». يعني إذا قلتي: أنا أنفقت، وفعلت، وفعلت تُعدَد عليك نعم الله، الله فعل لك كذا وفعل لك كذا «لا تُحْصِي، فيُحْصَى عَلَيْكِ يا أسماء». وكذلك قال النبي: «يا أسماء، تَصَدَّقِي، ولا تُوكِي فيُوكَى

عليكِ». «تُوكِي». يعني: تربطي عنق الجرة التي فيها الفلوس بحبل بوكاء، تربطيه بحبل، إذا ضيقتي في الإنفاق سيُضيَق عليك في الإعطاء، والله وعد وهو أصدق القائلين بقوله: ﴿وَمَا أَنفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (٣٩)﴾ [سبأ: ٣٩].

ويقول النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «مَا مِن يومٍ تَطلعُ فيه الشَمسُ إلَّا وبجنبتيها ملكان، يقولُ أحَدُهُما: اللَّهُمَّ أعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا». يعني: يا رب الذي ينفق أخلف عليه يا رب «ويقولُ الآخرُ: اللهمَّ أعطِ مُمْسكًا تَلفًا». يعني: يا رب أتلف أموال البخلاء. وكم من بخيل دُمِرت أمواله! وكم من سخيٍ يزيده الله عطاء فوق العطاء! فكونوا كرماء، فالله كريم ويحب الكرماء، ورسل الله كرام وكرماء -عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، فالبذل والعطاء في أيام الشدة داخل تحت قوله تعالى أيضًا: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢]. وتحت حديث رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «واللهُ في عونِ العبدِ ما دامَ العبدُ في عونِ أخيه». وقد قال الرسول الأمين -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «مَن يَسَّرَ علَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ عليه في الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَمَن فرجَ عن مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِن كُرَبِ الدُّنْيَا فرجَ اللهُ عنْه كُرْبَةً مِن كُرَبِ يَومِ القِيَامَةِ». وختم الحديث بقوله: «واللهُ في عونِ العبدِ ما دامَ العبدُ في عونِ أخيه».

فكونوا سعاة في الخير، إن لم تستطع أن تتصدق فحث غيرك من أهل اليسار على الصدقة «وَالدَّالُ على الخيرِ كفاعِلِه». كما قال الرسول الأمين -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، إن الله قال: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٩)﴾ [الحشر: ٩]. ونزلت في رجل من الأنصار مع امرأته ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾. في رجل من الأنصار مع امرأته، آتاهما ضيف، فقال الرجل لامرأته: نومي الصبية، وأشعلي النار على قدر فيه أحجار تكركر يعني كأنها تقول للصبية ينتظر الأكل يطيب، وأطفأ المصباح، وقدم الطعام القليل كان لا يكفي إلا واحدًا في البيت، أوهم الضيف أنه يأكل معه والمصباح منطفئ، فلما أصبح غدا على رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فبادره النبي -صَلَّى اللهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، أخبر الله نبيه بذلك «إِنَّ اللهَ عجبَ مِن صنيعكما الليلةَ». عجب من صنيعك وصنيع زوجتك هذه الليلة «إِنَّ اللهَ عجبَ مِن صنيعكما الليلةَ». وفيهما قوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

أيُّها الإخوة والأخوات، في هذه الأيام الطيبة المباركة، ونحن على مشارف شهر كريمٍ مبارك عودوا أنفسكم على الكلام الطيب وعلى فعل الطيبات، في كل صلاة تصلونها تقولون: «الطيباتُ للهِ». فافعلوا الطيبات وانتظروا ثوابها من الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، لا تنتظروا ثوابها من بشر، إذا تكلمتم حتى بكلام طيب لا ليُقال عنكم أنكم طيبون، ولكن كما قال تعالى: ﴿لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (١١٤)﴾ [النساء: ١١٤]. فكونوا من الطيبين، كونوا من الطيبين، كونوا من الطيبين، وليكن شعاركم ﴿وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾. الأقوال الطيبة تصدر من الطيبين، والأقوال الخبيثة تصدر من الخبثاء، الأفعال الطيبة تصدر من الطيبين، والأفعال الخبيثة تصدر من الخبثاء -وَالْعِيَاذُ بِاللهِ-، فكونوا طيبين يطيب الله أحوالكم في كل وقت وحين، طبتم وطاب ممشاكم، تطيب أقوالكم، وأفعالكم، وقلوبكم، وقبوركم، وجنات النعيم دار للطيبين.

ألا ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠)﴾ [نوح: ١٠].

الخطبة الثانية:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

وبعد...

أيُّها الإخوة، دائمًا وأبدًا المُعان على الخير من أعانه الله، فاسألوا الله العون على الخير، اسألوا الله أن يقيكم شح أنفسكم، يُروى أن عبد الرحمن بن عوف -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-

كان يطوف بالبيت وله دعوة يلازمها: «اللَّهُمَّ قِنِي شُحَّ نَفْسِي. فقالَ له قائل: ما هذه الدعوة يا عبد الرحمن؟ قالَ: إنك إنْ وُقيتَ شحَ نفسِك فقد أفلحتَ كل الفلاحِ». شح النفس ليس بالطعام والشراب فقط، إنما هناك من يبخل أيضًا بالعلم، يقول: إذا علمت الناس سيكونون مثلي. أستاذ جامعي في الطب يبخل على الطلبة المتخرجين الجدد في تعليمهم الطب، فإذا علمتهم سيكونون مثلي، ويكشفون على الناس، ويسحبون الناس، جهل أن الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- قال: «أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ». بصفة عامة وأن الله قال: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ (٦٩)﴾ [العنكبوت: ٦٩].

فكن حريصًا على إيصال الخير للعالم، بذل للمعروف للعالم، كما قال عمار بن ياسر -رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمَا-: «ثلاثٌ مَن فعلَهنَّ استكملَ الإيمانَ: الإنصافُ مِن نفسِك، والإنفاقُ مِن الإقتارِ، وبذلُ السلامِ للعالمِ». فيا أيُّها الإخوة، ابذلوا الخير تجدوا ثوابه عند الله، الله قال: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَه (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَه (٨)﴾ [الزلزلة: ٧-٨]. فسترون أعمالكم، مثاقيل الذر سترونها يوم تلقون ربكم ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا (١٣) اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا (١٤)﴾ [الإسراء: ١٣-١٤].

من صنائع المعروف كما تقدم في هذه الأيام أيام الأزمات إطعام الطعام، قال تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (٨) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا (٩)﴾ [الإنسان: ٨-٩]. قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وقد سُئل: «أيُّ الإسْلَامِ أفضلُ يا رَسولَ اللهِ؟ قالَ: إطعامُ الطعامِ وإفشاء السَّلامِ». فأطعموا الطعام يا عباد الله، فيه أجر، فيه أجر عظيم إطعام الطعام، وقد أثنى بعض الشعراء على بني هاشم فقال:

المُطعمون الطعامَ كل عَشِيَّة ... حَتَّى تَغِيبَ الشَّمْسُ فِي الرَّجَّافِ

يعني: في البحر. يعني: كل يوم يطعمون الطعام، فأطعموا الطعام تكفيكم دعوة صالحة فضلًا عن ثواب الله -سُبْحَانه- إذا استجابها «أطعِموا الطَّعامَ، وأفشوا السَّلامَ، وصِلوا الأرحامَ، وصلُّوا باللَّيلِ والنَّاسُ نيامٌ، وطيبوا الكلامَ تدخلوا الجنَّةَ بسَلامٍ». يا أهل الإسلام، كما تشيدون لدنياكم فشيدوا لآخرتكم ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٠)﴾ [المزمل: ٢٠].

اللهم قنا شح أنفسنا، اللهم قنا شح أنفسنا، اللهم قنا شح أنفسنا، اللهم وسع علينا في الأرزاق، وسلطنا على هلكة هذا المال في الحق الذي يقربنا منك يا رب العالمين، اللهم وسع علينا وسلطنا على هلكته في الحق يا رب العالمين، اللهم يا ربنا نعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع، ومن الخيانة فإنها بئست البطانة يا رب العالمين ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (٢٠١)﴾ [البقرة: ٢٠١].

أيُّها الإخوة، لا تنسوا الدعاء لإخوانكم المنكوبين، ولإخوانكم المكروبين، ولإخوانكم المأسورين، في كل وقت وحين اجتهدوا في الدعاء بخيري الدنيا والآخرة لكم ولأنفسكم، ولا تحجروا واسعًا، ومن تحجير الواسع أن تدعو لنفسك فقط، بل عمم الدعوات، نسأل الله أن يتقبل منا ومنكم دعائنا، اللهم إنا نعوذ بك من دعاء لا يُسمَع، نعوذ بك من قلب لا يخشع، وعلم لا ينفع، ونفس لا تشبع، وعين لا تدمع، ودعاء لا يُسمَع، ألا وصلوا وسلموا على الرسول الأمين محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- وعلى سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين.

وأقم الصلاة.

****

- يمكنكم متابعة خطب ودروس الشيخ على الرابط التالي:

https:--www.youtube.com-channel-UCkL٢vNPCvXU١niLe٧KhKFXg

- رابط الخطبة:

https://www.youtube.com/watch?v=Xu٥٢vRn٢٧٥٨&list=PL٩٢HwYx٣aJlvJO٣ewL٣GHuCxcMuOShRNy&index=٢٧٨

- رابط صفحة الشيخ مصطفى العدوي الرسمية على الفيس بوك:

https:--www.facebook.com-groups-١٢٥٨٠٢٠١١١٠١٩٠٦٧-?ref=share